١ الفصل الأول

العثمانيون: تطور الدولة ونظام الحكم

١- المرجعيات التاريخية لعلاقة العرب بالترك:-

بقي الصراع التاريخي مستعراً بين المسلمين الشرقيين والروم البيزنطيين منذ عهد صدر الاسلام. وحسب النظرية العربية في الجغرافية الانسانية: انه صراع تاريخي عقائدي مزمن بين دارين: دار الاسلام ودار الحرب، أي بين العالم الاسلامي وأوروبا. وما بينهما تشكلها «الثغور»، اذ بقيت منطقة غربي آسيا الصغرى (= الاناضول) هي الثغور (أي: التخوم العازلة) بين عالمي الصراع ذاك*. وعدت تلك «الثغور» مسرح حروب وعمليات عسكرية فعالة ومزمنة ومتواصلة بين الدارين (= الشرق × الغرب). وان مسالك تلك الثغور، برية وبحرية تؤدي جميعها الى القسطنطينية، تلك العاصمة البيزنطية العتيقة التي تحتضن الكنيسة الشرقية للمسيحيين الارثودكس. وكانت للعرب المسلمين تطلعات ومحاولات منذ عهد الخليفة الأموي معاوية بن ابي سفيان لفتح مدينة القسطنطينية عبر الأراضي الآسيوية تنفيذاً لوصية رسول الاسلام محمد (ص). وقد شنت حملات حربية متعددة باءت جميعها بالفشل الذريع، على الرغم من ان العرب كانوا قد عملوا خلال ازمان عدة على توسيع كيانهم التاريخي، ونشر دعوتهم الاسلامية. ،وبقي الروم في حالة من الترقب والتربص والتحالف مع الاطراف الاخرى**.

---

* Cf. D.E. Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire from the earliest times to the end of the sixteenth Century. Leiden & E.J. Brill, 1972.

** Andre miquel, la Geographie humaine de monde musulman jusqu au milieu du II sieele, Mouton & Paris, 1973.

ولم يعمل العرب ابداً برغم توسّعهم شرقاً وغرباً على توطيد أنفسهم في آسيا الصغرى (= الاناضول) التي بقيت غريبة عنهم وهي تمثل ثغوراً استراتيجية تمتلك قلاعاً وحصوناً طوال أيام الامويين وعهود العباسيين، ناهيك عن أدوار العقيليين والحمدانيين مثلا قبل ان تذوى القوة العربية، ويدب الخلاف والضعف، ويسري التفكك في الحياة التاريخية العربية على حساب الانقسام، وضعف الخلافة ومؤسساتها الشرعية.. وعلى حساب قيام ونشوء الدويلات التركية والتركمانية والفارسية القوية، وبعد ان غدا «السلطان التركي» خلال العهود العباسية المتأخرة متنفذاً في حياة الدولة والمجتمع العربيين. وغدا منصب «الخلافة العربية» رمزاً روحياً للمسلمين قاطبة في ارجاء العالم الاسلامي.

كان الترك السلاجقة يمكنون لانفسهم حتى أصبحوا من المسؤولين الاقوياء في حياة دار الاسلام ضدّ بيزنطة، وصليبيي دار الحرب. وقد حالف النصر المؤزر الترك السلاجقة، فدفعهم ذلك نحو التوسع، فسيطروا على اجزاء شاسعة من آسيا الصغرى التي وطّدوا الاسلام فيها بعد ان تعذّر هذا الأمر على العرب من قبل.

وغدت تكويناً قومياً للاتراك الذين جعلوا «قونيه» عاصمة لهم. وقد استمر حكم السلاجقة في آسيا الصغرى التي كان يدعوها العرب بـ «بلاد الروم» أعواما طوالاً للفترة ٤٧٠-٧٠٠هـ/ ١٠٧٧-١٣٠٠م. وقد وقف سلاجقة الروم كالجدار المنيع أمام الغزوات الصليبية والحملات العسكرية البيزنطية، ثم لم تلبث دولتهم ان تقوّضت بفعل ضعف الحكام عسكرياً وادارياً.

وجاءت الهجمة المغولية، فقد اكتسح المغول الدول الاسلامية حتى وصلوا الى أجزاء من اسيا الصغرى، وقوّضوا الحكم السلجوقي.. وسقطت تلك السلطنة التي كانت قد تأسست في القرن الحادي عشر قبيل ان يشتعل أوار الحرب الصليبية. وعندما انهارت اتخذ القرمانيون لهم قلب المملكة السلجوقية موطناً، مستقطبين قونية عاصمة لدولتهم، في حين كان نصيب العثمانيين قشرها في التخوم Marches، إذ اخذوا فضلات السلطنة السلجوقية، وذلك لوصولهم التاريخي المتأخر، وكانوا ضعفاء متقهقرين.

السؤال الآن: من الاتراك العثمانيون؟ وما اصولهم؟

ينتمي الاتراك الى قبائل الاوغوز التركمانية في آسيا الوسطى، وهم فرع من العناصر المنغولية. وكانت قد تقادمت نحو الاناضول خلال فترات تاريخية

متواصلة، وأحقاب من العصور المختلفة في هجرات حملتهم اليها ضرورات الطبيعية الصعبة. ويتفرع من عرق الاوغوز قبائل مختلفة اشهرها قبيلة «كرمان» التي يتأتى أصلها من موطنها في اذربيجان شرقي الاناضول، وامتازوا برعي الاغنام والفروسية والقوة الجسدية، ونتيجة لضغط الحركات التي قام بها جنكيزخان وجيوشه نحو الغرب، فقد نزحت هذه القبيلة باتجاه الغرب، ووصلت الى الاناضول. وكان الاناضول مقسماً بين قوتين سياسيتين هما: القوة البيزنطية في غربه وقوى السلاجقة في شرقه. فضلاً عن وجود بعض الامارات المتحالفة المتعددة في اجزاء كثيرة من الاناضول*.

أ - العثمانيون: -

كان الجد التاريخي الاكبر الذي يقودهم هو عثمان ابن رجل يدعى «ارطغرل» الذي كان قائد جماعة من المهاجرين الترك الخاملين الذين رمت بهم الى أقصى حدود عالم «دار الاسلام» صدمة تاريخية عنيفة، مذ ازبدتها موجات المغول القوية الكاسحة، وكان نصيب هؤلاء اللاجئين الاغراب من جدود وآباء العثمانيين شقة من الأرض في الحافة الشمالية - الغربية من نجود الاناضول اهداها اليهم ملوك السلاجقة للخدمات التي قدموها لهم. كانت تلك الشقة من الأرض في التخوم تجد نفسها جغرافياً بين مطرقتين: المملكة السلجوقية والاقاليم البيزنطية ... وعلى امتداد الساحل الآسيوي من بحر مرمرة، سمي ذلك الشق باسم «سلطان أنو» - Sultan Onu (أي: جبهة قتال السلطان).

كان ذلك «الشق» اقطاعاً جغرافياً من الثغور السلجوقية أقطعه السلطان السلجوقي علاء الدين الثاني الى ارطغرل الذي يعد الجد الأول / الاكبر للنظام العثماني - فيما بعد -والذي ولد له ولد أسماه بـ «عثمان» Osman الذي كانت ولادته عام ١٢٥٨م. أي في نفس السنة التي استباح المغول فيها مدينة بغداد، واسقطوا الخلافة العباسية.

هكذا، أقام الاتراك في التخوم الغربية تابعين لسلطة علاء الدين الثاني السلجوقي الذي ساعدهم على اقامة امارة صغيرة في ذلك الاقطاع الذي منحهم

---

* Halil Inalcik, The Ottoman Empire: The Classical Age: 1300-1600, New York & London 1973. pp. 51 -62.

اياه وفي مدينة «اسكي شهر» .. ولمّا اسّس عثمان تلك «الامارة» في عام ١٢٨١م كان عمره لم يتجاوز (٢٣) سنة. وهكذا ايضا ومن غرابة التاريخ انه بسقوط الدولة العباسية التي دامت اكثر من خمسة قرون... ولدت الدولة العثمانية الجديدة التي دامت اكثر من ستة قرون، مع الفرق الشاسع والبعيد في الخطط والانظمة في الشرعية وتطبيق العقائد، والسلطات، والسنن والاعراف والتقاليد السياسية والتركيز الجماعي والادارات والتعامل مع القوى الاجتماعية... الخ.

المهم ان نعرف أن سنة ١٢٥٨م/ ٦٥٦هـ تشكل حاجزاً تاريخياً سبقته عهود موجات بشرية من المهاجرين الرعويين بفعل الضغوط المغولية من آسيا الوسطى نحو آسيا الصغرى. وكانت ظروفهم قاهرة نتيجة للمكابدات الصعبة. اما الموجات البشرية فكانت نشيطة ومتتابعة بفعل سياسة جنكيزخان وخلفائه الذين شتتوا مجاميع التركمان والجراكسة كي يقيموا في منطقة الاستبس موطن الانهار العذبة اقامة دائمة وقد احتوتهم السلطنة السلجوقية، لكي يقدموا لها خدماتهم المتنوعة.*

إن منشأ العثمانيين مغلف بالاساطير، وكما تدل على ذلك الروايات التي ذكرها السلاطين فيما بعد، مزهوة بالاعجاب والقداسة الدينية والتجلة والسمو والخلود... ولكن المعلومات التاريخية تفيد بأن اصلهم يعود الى قبائل الاوغوز الرعوية التي يعود عرقها الى آسيا الوسطى كذيول مغولية قديمة في الاصل. وبعد انسياحهم بحثاً عن الخصوبة والمراعي وصلوا الى شمال جبال طوروس التي تفصل عالم الاناضول عن أراضي الوطن العربي.

هذه المعلومات لها اهمية بالغة في فهم الطبيعة البشرية التي ميزتهم، والمواصفات التاريخية/ العرقية التي دفعت بهم الى الواقع التاريخي خلال الازمنة المتأخرة من تاريخ الشرق الاوسط.... لكي يكوّنوا دولتهم الشاسعة، ويؤثروا في التاريخ البشري بشكل بارز. وقد ساعدتهم الظروف المتنوعة والبيئات المتعددة، لينشئوا دولتهم، ويتوسعوا كثيرا في قلب العالم القديم بقاراته الثلاث: آسيا واوروبا وافريقيا... وقد غدا البحر المتوسط يشكل بحيرة عثمانية وذلك لسيطرتهم عليه، والاستفادة من استراتيجياته وموانئه ومسالكه في حوضيه الشرقي والغربي، فضلاً عن بحاره الداخلية.

---

* راجع تحليلات المؤرخ ارنولد توينبي عن العثمانيين في: د. سيار الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، سبق ذكره، ص ٢٦٣-٢٩٨.

لقد نجح العثمانيون في تأسيس دولة سلطانية كبيرة (= امبراطورية) تنتمي الى العصور الوسطى، واستمرت في حياتها على امتداد التاريخ الحديث حتى انتهت عام ١٩٢٤أي في مطلع التاريخ المعاصر. وبقيت مركزاً للعالم القديم مسيطرة على اقتصاد العالم قروناً طويلة قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح اولا، وافتتاح قناة السويس ثانيا. وكانت لها أطوارها التاريخية مذ بدأت على شكل «قبيلة» يتزعمها سليمان في مطلع القرن الثالث عشر، ثم تحولت الى شكل «اقطاع» يتزعمه ارطغرل... ثم يتبلور الاقطاع الى شكل «امارة» يتزعمها عثمان في نهاية القرن المذكور، وستصبح الامارة «دولة» اعتيادية على يد بايزيد الأول في نهاية القرن الرابع عشر، وستقع فريسة بيد تيمورلنك عندما اجتاحت جيوشه الاناضول، وأوقعت الهزيمة بالعثمانيين عام ١٤٠٢ في معركة دامية هي معركة انقرة. ثم تنهض الدولة العثمانية من جديد لكي تصبح دولة كبرى على يد السلطان محمد الفاتح الذي يسجل حدثاً تاريخياً بارزاً في تاريخ البشرية بفتحه القسطنطينية سنة ١٤٥٣م.. وتبدأ الدولة طور الامبراطورية على امتداد القرن السادس عشر، وتصل الى قلب أوروبا النابض ڤينّا عاصمة النمسا على عهد السلطان سليمان القانوني عام ١٥٢٩".

يمتد عمر الدولة العثمانية للاحقاب ٦٨٠-١٣٤٢هـ/ ١٢٨١-١٩٢٤م، أي (٦٤٣) سنة، وبلغ عدد سلاطينها بالاسم والفعل (٣٨) سلطاناً. اما المراحل التاريخية التي مرّت بها حسب تطورها الحضاري، فهي :

١- النشوء ـ القرن الثالث عشر ـ مرجعيته : تأسيس الامارة

٢- الارتقاء ـ القرن الرابع عشر ـ مرجعيته : المؤسسات والجيش

٣ - الانتصار ـ القرن الخامس عشر ـ مرجعيته : فتح القسطنطينية

٤- الازدهار ـ القرن السادس عشر ـ مرجعيته : عهد سليمان القانوني

٥- الضعف ـ القرن السابع عشر ـ مرجعيته : فشل حصار ڤينا الثاني في سنة ١٦٨٣م

" من المهم جدا، مراجعة ما كتبه كريسي وتوينبي وكيبونزوبول وبتك وكوبرلو، ومقارنة ذلك بما كتبه روبرت منتران وبيري اندرسون وخليل انالجيك وكمال كاربات وستانفورد شو...

٦- الانحسار ـ القرن الثامن عشر ـ مرجعيته: الحكومات الاقليمية اللامركزية

٧- الانحلال ـ القرن التاسع عشر ـ مرجعيته: التنظيمات

٨- السقوط ـ القرن العشرين ـ مرجعيته: تركيا الفتاة + مصطفى كمال أتاتورك

أما العوالم الجغرافية التي شملتها الامبراطورية العثمانية، فهي:

١- الاناضول ـ أي: آسيا الصغرى وتشمل اليوم على تركيا الحديثة.

٢- روميليا ـ أي: أوروبا الشرقية المشتمل على البلقان والصرب واليونان وهنغاريا ... الخ.

٣- الوطن العربي ـ أي: الولايات العربية في كل من المشرق والمغرب العربيين.

ويمكننا ان نذكر ابرز الشعوب والقوميات والملل التي تألفت منها تراكيب المجتمعات العثمانية اذ كان هناك:

الاتراك/ العرب/ الصرب/ الارمن/ الاكراد/ التركمان/ الفرس/ الالبانيون/ اليونان/ البلقان/ الهنغار/ السلاف/ البلغار/ اليهود/ القرم/ الجراكسة/ الخزر/ الكرج/ القفقاس/ القبجاق/ الاحباش/ وغيرهم*.

٣- مواصفات التاريخ الامبراطوري للعثمانيين** :-

١- حمل تاريخ الامبراطورية العثمانية في جوفه فترات تاريخية تراكمية قابلة للتجديد، وهو تاريخ يشابه في ذلك كثيراً تواريخ امبراطورية أخرى

---

* للمزيد من التفصيلات التاريخية لهذه التراكيب ذات العلاقة المشتركة، انظر مقارناً ما كتب في «الانسكلوبيديا الاسلامية» القديمة والحديثة، والانسكلوبيديا الاسلامية (التركية).

- The Encyclopeadia of Islam (Ist and 2nd eds).

- "islam Ansiklopedisi" (Turkish ed.) in progress.

وانظر بخصوص تركيب الاسرة السلطانية – العثمانية :-

A.D.Alderson, The Structure of the Ottoman Empire. Oxford, 1956.

** وحول عوامل رقي الدولة العثمانية، انظر: محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمه وقدّم له: د. أحمد السعيد سليمان، تقديم: د. أحمد عزت عبد الكريم. القاهرة، ١٩٦٧. ص ١٨٣-١٩٢.

يذكر المؤرخ التركي صالح اوزبران أن الاتراك العثمانيين قد استحوذوا على اقليم الاحساء مباشرة بعد استيلائهم على البصرة، وامتدوا نحو القطيف ..كجزء من خطة عثمانية كبرى في مواجهة الوجود البرتغالي واساطيله القوية، وقد غدت البصرة من الولايات العثمانية المهمة. لقد امتد الحكم العثماني في سنجق الاحسا (الحسا) على مدى مرحلتين عثمانيتين مباشرتين: الاولى منذ دخول العثمانيين منطقة القطيف عام ١٥٥٠م. والثانية : امتدادهم في منطقة الهفوف عام ١٥٥٥م*. ويكون العثمانيون بذلك قد جسّدوا وجودهم في مناطق الخليج ..إذ شكل العراق مع لواحقه البحرية في الخليج العربي منطقة متنوعة الاتجاهات لترانسيت العالم القديم.. ونجح العثمانيون من خلاله في استئصال النفوذ البرتغالي في منطقة الخليج العربي.

٢- التطبيقات الادارية العثمانية في الوطن العربي:-

١/ اقليم الجزيرة الفراتية : الادارة الاهلية :

لقد كانت بلاد الجزيرة الفراتية هي اولى المناطق العربية التي شملتها. اهتمامات السلطان سليم الأول بعد سيطرته عليها في مايس ١٥١٦م، إذ نصّب سليم مستشاره القانوني ادريس البدليسي (صاحب كتاب هشت بهشت) مفوضا للادارة الاهلية في تلك الاقاليم، وارسل له فرماناً شاهانياً يؤكد له فيه اتخاذ التدابير اللازمة لاقامة المؤسسات الادارية المحلية.. كما أرسل له سبعة عشر علما وخمسمائة خلعة من الخلع السلطانية الفاخرة لتوزيعها على رؤساء الحكومات القبلية والامراء المحليين، كما ارسل الى البدليسي هدية ثمينة مقابل ما أسداه

---

* Salih Ozbaran , "The Ottoman Turks and the Portuguese in the ..Gulf, 1534 - 1581" Journal of Asian History. Vol.6. No . 10, 1972, p. 116

(ترجمها الى العربية د. عبد الجبار ناجي)

وانظر الى العربية – د. احمد مصطفى ابو حاكمه، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، ط١، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤٤-٤٦، وقارن ذلك بما كتبه الكسندر آداموق، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة : د. هاشم صالح التكريتي، البصرة ١٩٨٢.

ومن الاهمية: مراجع ما كتبه كل من لونكريك وروبرت منتران وماندفيل وغيرهم .

للعثمانيين وللسلطان سليم الاول من خدمات، كانت عبارة عن خمسة وعشرين الف دوقة ذهب ..

كان السلطان سليم الاول يعتمد عليه اعتماداً كبيراً – كما توضح لنا ذلك من خلال قراءة ما بين ثنايا بعض فرامينه التي كان يرسلها للبدليسي – وكان بعد سيطرته على ديار بكر، يتأمل ان يكون سبباً فعالاً في السيطرة على امتدادات واقاليم اخرى . لقد نجح البدليسي في تقسيم ديار بكر المترامية الاطراف، الى سناجق من اجل تسهيل مهمة السيطرة عليها، ثم طبق هذا النظام نفسه على الرها والموصل التي نصب عليها الولاة الاتراك الى جانب ولاة ديار بكر وماردين ..

لقد اعلن زعماء الاقاليم ورؤساء العشائر وامراء المقاطعات ولاءهم للعثمانيين، ولكنهم اشترطوا على البدليسي استمرارهم في حكم اقطاعاتهم، وقد قطع الشيخ البدليسي لهم جميعاً مواثيق سياسية يبدأ العمل بها من خلال ما تنص عليه من مواد قانونية هي :

١- الاحتفاظ بعائدية تلك الاقطاعات واستقلاليتها.

٢- يجري حكم الوارثة من انتقال الاقطاع من الاب الى اولاده (الذكور).

واذا اراد التصرف بها حسب الاعراف المحلية السائدة، فيستوجب اذ ذاك اصدار فرمان سلطاني بالموافقة على ذلك.

٣- تقوم هذه الاقطاعات بتقديم المساعدات للدولة في جميع حروبها.

٤- تحافظ الدولة على هذه الاقاليم ضد الاعتداءات الخارجية.

٥- دفع الصدقات والرسوم الشرعية لبيت المال الخاضع لسلطان الدولة.

لقد سرى العمل بتنفيذ هذه المواثيق والبنود القانونية من قبل المؤرخ الشيخ البدليسي الذي وصفه المؤرخ الانكليزي كريسي Creasy بـ «صاحب القدرة الادارية العالية في تنفيذ القرارات» .

تعد البنود الآنفة الذكر: اول معاهدة تعقدها الدولة العثمانية بينها وبين الامارات والعشائر القبلية في بلاد الجزيرة الفراتية (= كردستان + شمال غربي

العراق) التي خضعت لها بعد حرب جالديران في عام ١٥١٤م، وقد جرى العمل بها تكتيكيا مرحليا من قبل الدولة في توظيف بلاد الجزيرة تلك، ضد الاعداء الخارجين (باعتبارها حاجزاً جغرافياً يفصل الاناضول عن الوطن العربي)، إذ سرعان ما نقضت الحكومة العثمانية شروط هذه المعاهدة ، بعد ان طبق السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠- ١٥٦٦م، النظام الاقطاعي / العسكري والذي بموجبه ظهرت التقسيمات الادارية على نحو جديد، وذلك بعد سيطرته على بغداد سنة ١٥٣٤م/ ٩٤١هـ.

أما بالنسبة للنظام الضرائبي ، فقد اتبع سليم الاول مخلصاً العرف العثماني القديم، محتفظاً به، وقد طبقه على الاراضي التي احتلها وأخضعها من يد الصفويين في شرق آسيا الصغرى، ومن المماليك في سوريا ومصر، وقد اتبع هذا الخط السلطان سليمان القانوني في البداية بما فعله في العراق، او في بعض امتداداته الحربية في هنغاريا*.

٢ / بلاد الشام :التقسيمات الادارية:

نجح السلطان سليم الاول قبل عودته إلى عاصمته اسطنبول بتقسيم بلاد الشام إلى قسمين واسعين : اولهما : شمال دمشق ومركزه الاداري حلب، و ثانيهما : جنوبي دمشق ويمتد حتى العريش ومركزه الاداري دمشق، وارتبطت به المراكز المدنية في فلسطين. ثم قامت السلطات العثمانية المختصة باجراء التنظيمات لبلاد الشام على اسس النظام الاقطاعي.

---

* انظر د. سيار الجميل، «دراسات في السيطرة العثمانية..» المرجع السابق ، القسم الثاني، ص ٣٣٥

و راجع التفاصيل في : سعد الدين خوجة، تاج التواريخ (بالتركية) ، اسطنبول ، جـ٢، ١٨٦٣، ص ٣٢٤، (وهو من اقدم المصادر العثمانية).

و انظر اراء المورخ كريسي في

E.S. Creasy, History of the Ottoman Turks, Vol I, London, 1854,p. 225.

و راجع ما كتبه المؤرخ النمساوي القديم فون هامر بورجشتال .

J.Von Hammer - Purgstall, Geschichte der Osmanischen Reiches, Band 2, (1453 1530) Wien , 1828.

قسمت بلاد الشام في عهد سليمان القانوني إلى (٢٥٦١) اقطاعا، منها (١٠٠٦) اقطاعات في ايالة دمشق التي ضمت: دمشق وصيداً وتدمر والكرك وغزة والقدس ونابلس وعجلون وصفد واللجون.. وتشير الوثائق العثمانية بان اراضي بلاد الشام كانت على شكل خمسة مصنفات هي:

١- الخواص الشاهانية، وهي الاملاك السلطانية.

٢- خواص المير لواء، وهي املاك حكم السناجق كاقطاعيات عسكرية.

٣ - الزعامات والتيمارات، وهي املاك الزعماء العسكريين المتوسطة والصغيرة.

٤- أراضي الوقفيات.

٥- أراضي الملك صرف.

تشير السجلات العثمانية بوضوح إلى أن تطبيق نظام الالتزام في بلاد الشام خلال القرن السادس عشر، قد اثر كثيراً في البنية الزراعية نتيجة للمكابدات التي عاناها الفلاح السوري من الملتزمين الذين غدوا في نهاية القرن الثامن عشر، يتمتعون مدى الحياة بالاقطاعات التي غدت تسمى «مالكانة» والتي بدت تشبه إلى حد كبير «الخواص». وقد اعدت الدولة العثمانية كل «ملتزم» جزءاً في كيانها، فاسندته بالادوات والوسائل من اجل تحقيق عملية جمع الضرائب، ومن ابرزها: استخدام الاسلحة والقوة باسم حماية اقطاعه وتوفير حالة الامن.

لقد جاءت اجراءات الدولة العثمانية بعد استطاعتها تحطيم الانظمة السابقة إثر اندحار دولة المماليك على ايدي العثمانيين.وقد وجدنا أن عناصر اقطاعية محلية او اقليمية قد اقتربت من القوى العثمانية المسيطرة والجديدة من اجل الحفاظ على مصالحها و مواقعها، فضلاً عما فعله خاير بيك وجان بردى الغزالي وامراء الساحل الذين انتظروا لمن ستكون الغلبة، فلما كانت للعثمانيين اصطفوا يناصرونهم، وانحازوا إلى طرفهم، فكافأهم العثمانيون ليس بالاقطاعات فحسب، بل باسناد الادارات الاقليمية (= السناجق) لهم *.

---

* من الاهمية ماجعة ما كتبه محمد كرد علي و أ. ن. بولياك واجراءمقارنة في المعلومات.

كان ذلك كله مبعثاً في تبلور التكوينات الاقليمية منذ القرن السادس عشر في بلاد الشام *. وقد عكست الاحداث التاريخية المتفاقمة، مظاهر متعددة في الصراع الاقطاعي الذي تأجج بفعل العصبيات الطائفية والعلاقات الاسرية والعشائرية.. وكان من اشهر تلك التكوينات الشامية الامارة المعنية في جنوبي لبنان وشمال صفد، والامارة الحارثية في قلب فلسطين خلال القرن السابع عشر.

٣ / مصر: نظام الالتزام وادارة المماليك:

أما في مصر فقد بدأ العثمانيون بترتيب وتنظيم الادارة فيها وفي صعيدها بعد ان خسرت مكانتها الاقليمية كدولة تحت اسم «السلطنة المملوكية»، وافتقدت ايضاً مكانتها الرمزية في العالم الاسلامي باعتبارها قد كانت حامية للخلافة العباسية في ظل المماليك. لقد تحولت مصر من دولة لها جيشها ومؤسساتها الى مجرد ولاية عثمانية لا تأثير واضحاً لمكانتها الجغرافية.

اصبح الوجه البحري مقسماً إلى سبعة أقاليم (بدلاً من اعمال)، أما الوجه القبلي فقد قسم الى ستة اقاليم تدين جميعها الى حاكم مصر خاير بيك الذي نصبه العثمانيون. وتمتعت ثلاثة موانيء هي الاسكندرية ودمياط والسويس بتبعية مباشرة للدولة العثمانية، في حين وقف على رأس الموانيء الاخرى «قبودان». وبعد ذلك، اصبحت مصر مقسمة الى خمسة اقاليم كبرى: اربعة في الوجه البحري، وواحد فقط للوجه القبلي. وكان يحكم الاقاليم الخمسة «بكوات» يحمل كل واحد منهم رتبة الصنجقية. وكان حكام الاقاليم يقيمون في القاهرة باستثناء حاكم جرجا عاصمة اقليم الوجه القبلي (جرجا) وينوب عن الصناجق اتباعهم «الكشاف» من المماليك. وهم حكام لـ (٢٤) كاشفية مستقلة عن الاقاليم.

وكانت الاقاليم مقسمة الى عدة مقاطعات تتكون بدورها من مدن صغيرة وقرى عديدة، وتدار المقاطعة اما من قبل ملتزم واحد أو عدة ملتزمين، وعادة ما يكونون من كبار الضباط العثمانيين، ثم دخل الى هذا الميدان التجار ورجال الدين ومشايخ العربان واصبحت غالبية الملتزمين من امراء المماليك.

---

* من الاهمية بمكان مراجعة ما كتبه عن «بلاد الشام في القرن السادس عشر» كل من المؤرخين: سوفاجييه وعبد الكريم غرايبه وليلى الصباغ ومحمد البخيت وعبد الكريم رافق.

اما الجهاز الاداري في مصر*. فقد تكون من حكام الاقليم ثم الصنجق أو الكشاف والاوجاقات العسكرية والوكيل والقائمقام.. أما ادارة القرى فكانت موكلة الى الملتزم، ويمثله القائممقام ومعه موظفون يختارهم، وهم: الشيوخ والشاهد والصراف والمشد والخفراء والوكيل والكلاف.. ويترأس إدارة الاقليم «بيك» يحمل رتبة الصنجقية، ويحصل على لقب «حاكم». وكان لكل اقليم اداري عاصمة سواء أكان ولاية أم كشوفية يقيم فيها «البيك» أو الكاشف حاكم الاقليم الاصغر.

كان حكام مصر --ايضاً- من امراء المماليك برتبة صنجق وحصل على لقب «البيك»، يعينون بفرمان من الباشا بناء على اقتراحات الامراء المحليين وموافقة السلطان العثماني. وتستوجب مهمة الحكام من بيكات الصناجق: جمع العوائد والضرائب التي يقررها السلطان على البلاد، ثم يقتطع منها ما يستوجبه الميري، وما يتبقى يكون من نصيبه... ومن سلطاته ايضاً: تطبيق العقوبات بالسجن والقتل، الى جانب سلطة فرض الضرائب الاضافية في اقليمه. وقد استمر هذا النظام فعالاً -- فيما يبدو-- حتى الربع الاول من القرن السابع عشر حينما بدأ تطبيق نظام الالتزام على نحو فعال.

ارتبط القاضي والقضاء المصري بقضاء عسكر افندي، ولم يكن ذلك القضاء نزيهاً في مصر، وحتى قاضي العسكر كان يرتكب الاخطاء مثل اخذ الرشوة. اما الكاشف، اي وكيل الملتزم في ارضه، فكثيراً ما كان يسيء التصرف فيستغل نفوذه باستيلائه على اراضي الغير.. وكانوا مكلفين باعادة الفلاح الهارب الى مصر.

كانت هذه باختصار هي احوال الادارة اللامركزية العثمانية- المملوكية قبل أن طبقت الدولة العثمانية نظام الالتزام في مصر منذ عام ١٦٥٨. لكن السؤال الآن، هو لماذا اعتمد العثمانيون على المماليك في ادارة مصر دون القضاء عليهم؟ نقول إن العثمانيين قد قضوا على دولة المماليك دون القضاء على حلقاتهم الاجتماعية، وقد كان لتاريخهم الطويل في حكم مصر الدور البارز والمؤثر في استفادة الدولة العثمانية منهم، خاصة وانهم كانوا مندمجين مع المجتمع المصري في المدينة والريف.. كما ان هناك ثمة انقسامات في البنية المملوكية- المصرية وخصوصاً،

---

* للتوسع أنظر ما كتبه عبد الوهاب بكر وهريدي وليلى عبد اللطيف.

التنازع على العرش، فضلاً عن التأرجح في المواقف المصرية ازاء التغيرات المملوكية- العثمانية.

٤ / العراق: الموصل وبغداد والتشكيلات الادارية ونظام السالیانة في البصرة

نجح السلطان سليمان القانوني أن ينظم الشؤون الادارية للعراق بعد أن سيطر على بغداد في ٣٠/ ١٢/ ١٥٣٤، وبقائه فيها حتى يوم ٣١/ ٥/ ١٥٣٥م أي قضى في العراق ستة اشهر كاملة عمل خلالها على فرض الأمن وإحلال النظام، وتحقيق الاستقرار، وتنظيم الادارة والضرائب، وباشر بتجديد المدارس والاضرحة والشوارع. وزار كثيراً من مدن العراق، وشجع الزراعة وعمل على فتح القنوات المائية... وأرسل محمد باشا الى الموصل لتثبيت الحكم العثماني المباشر عليها، ثم نصّب حاكم ديار بكر السابق سليمان باشا الطويل أول وال عثماني من بغداد.

غدا العراق في عهد سليمان القانوني مقسماً الى خمس ولايات كبيرة، هي: ولاية بغداد وولاية الموصل وولاية شهرزور وولاية البصرة وولاية الاحساء. ووقف «الوالي» على رأس جهاز الولاية، وهو يتمتع بمنصب رفيع برتبة «بكلر بكى» ويلقب ايضاً بـ «مير ميران» أي (امير الامراء) بإعتباره يرأس امراء الالوية (= السناجق)، كما وأنه يعد أحد وزراء الدولة العثمانية، ويحمل طوغين أو ثلاثة أطواغ (الطوغ Tugh. شعار تركي قديم يتكون من راية بيضاء عليها خصلة شعر ذيل الحصان). ويحمل في اوقات الحرب، ولبكوات السناجق الحق في حمل طوغ واحد. أما البكلربيك (= رئيس البيكات) فإنه يحمل طوغين. أما من يكون بدرجة وزير عثماني من حكام الولايات الكبرى، فله الحق أن يحمل ثلاثة أطواغ.

أما إقطاعياً، فقد كان للولاة في العراق أن يحترزوا على إقطاعات كبيرة، وظفوها لخدمة مسؤولياتهم الضخمة، كما كان لولاة الموصل وبغداد فقط الحق في حضور جلسات الديوان السلطاني في اثناء وجودهم في العاصمة العثمانية إسطنبول. وكان من واجباتهم:

١- الدفاع عن اراضي واقطاعات الولاية او الولايات المجاورة من الهجمات الخارجية.

٢- ضمان استمرار ولاء سكان الولاية للدولة العثمانية.

٣- كبح جماح التّمردات أو الانتفاضات والثورات ضد الحكومة العثمانية.

٤- إعلام الباب العالي بكل الامور والمستجدات الداخلية والادارية والعسكرية إضافة إلى الاحوال الاقتصادية.

٥- تنفيذ الاوامر السلطانية في الاشتراك بالحملات العسكرية.

إن لكل ولاية جهازاً إدارياً متكاملاً قد يختلف في بعض وظائفه وخدماته عن جهاز إداري آخر في ولاية أخرى.. ويمكننا توضيح الجهاز الاداري لولاية الموصل- على سبيل المثال.. فهو يتألف من:

١- **الوالي**: وهو أعلى منصب إداري في الولاية، وهو حلقة الاتصال بين الاقليم ومركز السلطنة في العاصمة، وعادة ما كانت فترات الحكم قصيرة جداً، وعليه أيحمل رتبة «البيكلر بكي» كي يشغل هذا المنصب.

٢- **المتسلّم**: يأتي منصبه بعد الوالي في السلم الاداري، وهو «نائبه» أو الوالي وكالة في غياب الأول أو عزله أو سفره. ويتم تعيين «المتسلم» من قبل الوالي دون الرجوع الى العاصمة المركزية.

٣- **الكتخدا أو (الكخيا)**: وهو السكرتير أو المعتمد العام أو مدير المكتب الخاص، يعين لأغراض المساعدة في الشؤون الخاصة، سواء كانت سياسة أو عسكرية أم إدارية. عليه أن يكون راصداً قوياً لما يجري داخل الولاية، ويقدم معلوماته مباشرة ودورياً الى الوالي.

٤- **المكتوبجي**: وهو كاتب الرسائل والمذكرات الرسميّة لدى حكومة الوالي.

٥- **المهردار**: وهو حامل الأختام الرسمية لجميع الاوراق الرسمية للوالي.

٦- **الخزندار**: وهو أمين الصندوق أو الخزينة في الولاية.

٧-**السلاحدار**:وهو المسؤول عن الاسلحة والعدّة الحربية في الولاية.

٨- **إحتشامات أغاسي**: وهو رئيس التشريفات في قصر الوالي.

٩- **أمير آخور**: وهورئيس إصطبلات القصر في الولاية.

١٠- **الروزنامجي**. وهو كاتب الوقوعات اليومية في الروزنامات (=التقاويم).

وهناك مناصب أخرى الى جانب الوالي، تؤدي مهاماً سواء كانت ترتبط بالوالي مباشرة أم بالوزير الاعظم في العاصمة، مثل:

١- **الدفتردار**: أي المفتش العام في الولاية.

٢- **القاضي**: الذي يرتبط عادة بقاضي أناطوليا وينصّب من قبله.

٣- **المفتي**: منصب ديني يرتبط بـ«شيخ الاسلام» في العاصمة، وهو «فخري».

أما السناجق فإدارتها بسيطة يقف على رأسها:

١- **السنجق بيك**: وهو المسؤول الاعلى على الأمن والنظام والاحوال المالية ويساعده ملاك بسيط من الموظفين يقف على رأسهم:

٢-**الآي بيك**: وهو المسؤول عن السباهية (= الفرسان)، وتهيئتهم للحرب في الاقطاعات العثمانية.

٣- **الصوباشي**: وهو ضابط البوليس أو الدرك أو الشرطة الذي يعاونه جهاز أمني صغير من أفراد الشرطة.

ويمكننا القول بأن الدولة العثمانية قد عدت ولاية البصرة إحدى ايالات السالیانة المرتبطة بالوالي، وتابعة للخزانة الاميرية (= خزانة الدولة). أما تنظيم ايرادات ايالة السالیانة، فهو أن يقوم الوالي بجمع إيرادات الايالة المقررة شرعاً، ثم يستقطع مصاريف الوالي والسنجق بكية، وبقية المرافق الادارية في الولاية، وأخيرا يرسل المتبقى الى الخزانة المركزية في اسطنبول تحت إسم «ارسالية» أو «سالیانة»*.

---

* انظر التفاصيل في: علي شاكر علي «التنظيمات المالية في البصرة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر»، مجلة المؤرخ العربي، العدد(٢٧)، السنة (١٢)، بغداد، ١٩٨٦، ص ٨٤.

أما في بقية الولايات العراقية، فقد اعتمدت الدولة العثمانية على إيرادات اقطاعاتها التي سيطر عليها العديد من الاقطاعيين الكبار من خلال سيطرتهم على الارض بأصنافها الاقطاعية- العثمانية (الخواص/ والزعامات/ والتيمارات). ويذكر العديد من المؤرخين بأن ما يقدمه الاقطاعيون في كل الولايات للدولة يساوي نصف ايراداتها كاملة *.

٥ / بلاد المغرب العربي:

(١) **المقاومة البحرية** **: ظاهرة تاريخية بارزة في الصراع البحري بين أطراف متعددة على سواحل البحار الاستراتيجية خلال التواريخ الحديثة. وقد برزت على نحو فعّال وخطير في القرن السادس عشر والقرنين التاليين عليه. واستخدام «مصطلح القرصنة» من قبل المؤرخين الاوروبيين على نحو يسيء كثيراً الى الحقائق التاريخية الناصعة في صفحات تاريخ العرب الحديث.. في حين لم تكن المقاومة البحرية خاصة بالمغاربة أو الجزائريين أو التوانسة،، أو حتى بالاندلسيين الموريسكيين.

كانت عملياتهم الجريئة والقوية في الحروب البحرية عبر الحوض العربي من البحر المتوسط بمثابة ردّ فعل قوي تجاه القرصنة الاوروبية التي عرفتها دول اوروبا في مختلف البحار، وبخاصة الاساطيل الاسبانية والبرتغالية، فضلاً عن الفعاليات الغادرة لفرسان القديس يوحنا وجمهورية فينيسيا.

يقول المؤرخ الفرنسي بروديل- F. Braudel -: «لقد حلّ تاريخ القرصنة العام محل تاريخ الأمم والامبراطوريات»، في حين يقول ماسكاتري: «القرصنة مارسها الجميع سواء كانوا من الاوروبيين أم من المغاربة». ويعد تاريخ القرن السادس عشر هو تاريخ العصر الذهبي للمقاومة المغاربية والتونسية خاصة ولابد أن نوضح اسباب ظاهرة المقاومة المغاربية وعوامل نشوئها ونموها وتبلورها:

---

* راجع كتابات خليل اناجيك وستانفورد شو وهاملتون كيب وخليل ساحلي اوغلو وغيرهم في التاريخ الاقتصادي للدولة العثمانية.

** المقاومة البحرية أو الحرب البحرية هي التي اصطلح عليها بـ «القرصنة» في معظم المصادر التاريخية العربية والاجنبية

١- من الواضح أنه لا يمكن تفسير قيام المقاومة مع أساس الصراع التاريخي القائم عصر ذاك بين الشرق والغرب، فنمو المقاومة المغاربية بخاصة، يعود الى ظروف معينة. وإن القرصنة ظهرت في ظل وجود علاقات دولية تميزت بتفوق أوروبا = الشمال) من ناحية، وإنحطاط المنطقة العربية (=الجنوب) من ناحية اخرى.

٢- ان المقاومة المغاربية قد اشرف على تنفيذها «الرياس» وهم فئة من الاتراك كانت دخيلة وطارئة على المجتمع العربي، وهم الذين سمحت لهم التعليمات العثمانية بتطوير عمليات المقاومة البحرية من خلال توليهم مقاليد الحكم في المغرب العربي. ويظهر - لنا- أنها لم تول أية عناية لتنمية الموارد المالية التي إكتسبتها من مصادر البحر.

٣- يمكنني أن أضيف عاملاً أساسياً آخر، ذلك أن ظاهرة المقاومة البحرية تعدّ البديل التاريخي لعمليات النزوح الموريسكية الكبرى من شبه اللجزيرة الايبرية عبر البحر المتوسط لآلاف مؤلفة من السكان الذين كانوا يمتلكون أوطاناً قديمة عمرها قرابة ثمانية قرون، خاصة وأنهم كابدوا شقاء عميقاً حتى بعد إستقرارهم في المغرب العربي. فالمقاومة البحرية ردّ فعل موريسكي عربي مغاربي ضد تجاوزات أوروبا الكاثوليكية وإمتداداتها.

أما دوافع المقاومة البحرية*، فيمكننا حصرها على التوالي:

١- إنها تتماشى ونزعة رياس البحر الاتراك ضد اوروبا.

٢- كانت الانظمة الحاكمة المتعددة في المغرب العربي بحاجة الى الاموال منذ بداية تأسيسها في القرن السادس عشر.

٣- تدهور التجارة بسبب إنقطاع تجارة الذهب السوداني التي كانت عملياتها رائجة دوليا من خلال السودان الغربي.

ان ابرز من عالج تفصيلات هذا الموضوع كل من المؤرخ الجزائري احمد توفيق المدني والمؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي. انظر عبد الجليل التميمي. الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الاندلسيين (CERCOMID) زغوان، ١٩٨٩.

٤- حلول النقود الاوروبية وإنتشارها، وخاصة الاسبانية منها محل النقود المغربية، مما أثر تأثيراً بالغاً على تبلور ظاهرة القرصنة.

٥- إنتعاش القرصنة الفرنسية في عهد الداي عثمان، ويعلل ذلك بنزوح المرتزقة الذين كانوا يشكلون الاطار التقني الضروري.

٦- نزوح الاندلسيين- الموريسكيين الذين فروا بدينهم نحو السواحل المغاربية/ العربية، وكانوا ناقمين على الاسبان وذلك للممارسات القمعية ومحاكم التفتيش. الارهابية ضد المسلمين واليهود معاً.

٧- إن المغاربة العرب مارسوا عمليات بارزة في الحرب البحرية في ظروف اقتصادية وسياسية صعبة ومعقدة، فقد كان هناك صراع بين الشمال والجنوب في التجارة الدولية.. وكان هناك تسابق في المصالح الاقتصادية، فقد منع التجار المسلمون من حق الملاحة في البحر على حساب التجار الاوروبيين. وقد قال احد القناصل الافرنسيين يوماً: «إن تجارة مرسيليا إنما تتوقف على القضاء المبرم على تجارة المغاربة..».

٨- في ظل تلك الظروف التاريخية التي رافقتها تحولات كبرى في العالم فقد تحولت «الحروب البحرية» الى شكل من أشكال جمع الثروة، ووسيلة من وسائل عيش المغاربة.

٩- أصبحت القرصنة- فيما بعد-، وسيلة ضغط في أنظمة الحكم المغاربية لحمل الدول الاوروبية التي لا تعترف بالحكومات والادارات المغاربية.

١٠- وهناك دوافع اخرى، أبرزها: الدافع الديموغرافي بتنامي عدد السكان في منطقة المغرب العربي، وبشكل كبير دفع بالمدن الساحلية أن تغدو مراكز إمتداد جغرافي عميق في البحر المتوسط.

(٢) دايات تونس ١٥٩١- ١٦٤٠م والتركيب التاريخي:-

انتصرت حملة سنان باشا لكي تؤدي نتائجها في سنة ١٥٧٤م الى انهاء الوجود الاسباني من السواحل التونسية، واسقاط نظام الحكم الحفصي والدولة

الحفصية. فتحولت تونس تاريخياً الى ايالة عثمانية مهمة من ايالات الدولة المتعددة بعد ان ورثها الحفصيون جملة من التقاليد السياسية والاعراف الاجتماعية. وقد نصّب في حكم تونس قائد عسكري برتبة «باشا» له إشرافه على الجيش الانكشاري الذي بلغ عدده اربعة آلاف جندي. ويقف على رأس الجيش قائد برتبة «الآغا»، وقسم هذا الجيش الى عدد كبير من الفرق العسكرية، وقف على رأس كل فرقة ضابط برتبة «داي».

سيطر الجيش العثماني على جميع المناطق التونسية لاقرار الامن والنظام، وترسيخ نظام حكم جديد من خلال فعاليات الجيش الانكشاري. وانتشرت في الموانيء البحرية قطعات اسطول بحري عثماني يرأسه «قبطان ريّس» الذي كان يشرف على كبار الضباط وكانت له مهمة الفصل في شؤون الجيش، وادارة الولاية، وتنصيب «الباشا» ضمن مهام هيئة عليا اطلق عليها «الديوان».

خلال هذا العهد، كانت تونس تابعة للادارة العثمانية في الجزائر، وقد بقيت على تلك الحال حتى سنة ١٥٩٠م، إذ انفصلت، واصبحت، تحت حكم الباشوات الذين ينصبهم الباب العالي، والى جانبهم «الدايات» المختارون من قبل الجيش الانكشاري ولقد بلغ عهد الدايات اوج قمته من حيث سموالمكانة والتصرف المطلق، والقوة في البر والبحر، وقام الدايات باعمال خطيرة جسدتها ظاهرة «القرصنة» وخاصة في عهد اسطا مراد داي.

لقد دام عهد الدايات في تونس للفترة ١٥٩١-١٦٤٠م، متميزاً بانتقال السلطنة الفعلية من الباشا والديوان الى «الدايات» الذين كانوا على رأس الفرق العسكرية- الانكشارية. ويعود هذا الانقلاب في النظام المحلي الى جملة من الاسباب التاريخية، هي:

١- شعور الدايات بنفوذ متزايد بسبب تحكمهم من الطائفة العسكرية- الانكشارية، وبسبب مأموريتهم وخدماتهم الكثيرة في جمع الضرائب، والحفاظ على الأمن والاستقرار في كل من المدن والمقاطعات.

٢- لقد نجح الدايات كفئة لها امتيازاتها في اجهزة النظام ان تتحالف مع الجند الموالي لهم، من خلال منح الرواتب والعطايا.

٣- استبداد الباشا والسلطات النافذة للديوان في الحكم المطلق.

تأثر الدايات بما كان يجري في الجزائر من احداث سياسية، حيث كانت طائفة الانكشارية هناك قد قلبت نظام البايلر بيكات.

هذه هي بعض الاسباب التي بدأت تونس من خلالها تستحوذ على شخصية عثمانية لها، ولكي تتميز عن الايالة الجزائرية ببعض الخصائص، وإلى غاية ١٥٩٠م كانت ايالة تونس تابعة للجزائر، لكي تغدو بعد تلك السنة تابعة للاستانة تبعية مباشرة، لكي يأخذ التاريخ الحديث لتونس له مساراً آخر.

ويمكننا ان نوضح- هنا- أن الايالة التونسية قد مرّت باربعة عهود تاريخية اساسية، في تكوينها الاجتماعي والاقتصادي الحديث ومن خلال علاقاتها المتميزة بالعثمانيين الذين وفروا لها مناخاً له سماته وخصائصه من التفاعل الاقليمي بازاء الايالتين الماجورتين: طرابلس الغرب شرقاً والجزائر غرباً، وحركة الاتصال باروبا شمالاً سلباً أم ايجاباً... ان العهود العثمانية التي مرت بها تونس العثمانية تعد بمثابة انساق تاريخية لها، وكان العهد الاخير بمثابة قاعدة تاريخية ترسخت من خلالها النزعة الوطنية- التونسية ضد نظام الحماية الفرنسية حتى الاستقلال وإعلان نظام سياسي جديد عام ١٩٥٧ يقوده الحبيب بورقيبة وتحت اعلان «الجمهورية التونسية»، والعهود التاريخية، هي:

١- عهد الباشوات ١٥٧٤- ١٥٩٠م.

٢- عهد الدايات ١٥٩١- ١٦٤٠م.

٣- عهد الاسرة المرادية ١٦٥٩- ١٧٠٥م.

٤- عهد الاسرة الحسينية ١٧٠٥- ١٩٥٧م*.

---

* التفاصيل في: د. سيّار الجميل «نظام الادارة العثمانية اللامركزية في الولايات العربية..»، بحث مقدم الى المؤتمر الدولي الرابع للدراسات العثمانية، تونس، ١٩٩٠.
وانظر ايضاً -

Robert Mantran "Levolution des relations enter la Tunisie et lempire attoman du 16 au 19 siecle " Cahiers du Tunisie, 2 et 3 trim. 1959.